بسم الله الرحمن الرحيم

يومان في صحبة شيخنا العلَّامة محمد عوامة:

قَبساتٌ من مجالسَ علميَّةٍ خاصَّةٍ في العلم والمنهج والأدب

بقلم: محفوظ أحمد السلهتي

في هذا المقال أدوِّن أبرز الفوائد التي منَّ الله عليَّ بها خلالَ يومين قضيتُهما في صحبة شيخنا العلَّامة محمد عوامة حفظه الله تعالى، موثِّقًا أهمَّ ما دَارَ في تلك المجالس من أسئلةٍ وأجوبةٍ، وما تضمَّنتْه من توجيهاتٍ في علوم الحديث، ومنهج البحث والتحقيق، وآداب طلب العلم، والتربية العلمية؛ رجاءَ أن ينفع الله بها القارئَ كما نفعني بها في تلك الصحبة المباركة.

المقدمة:

ما أحسن ما قاله فضيلة مولانا الأديب الأريب الشيخ أبو طاهر المصباح حفظه الله تعالى في كتابه «المسافر إلى بيت الله» (بالبنغالية) ما معربه الملخص: «لقد صدق الأكابر حين قالوا: «إن لحظةً من صحبة عبدٍ صالحٍ من عباد الله أنفع من مطالعة آلاف الصفحات من الكتب. فالكتب تُورِث العلم، أمّا الصحبة فتهب البصيرة. وإذا كانت الدراسة مصباحًا، فإن الصحبة الصالحة هي التي تُوقد ذلك المصباحَ في القلب».

وامتثالًا لقوله تعالى :﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، أي: مع الصالحين المتقين، عزمتُ على القيام برحلة إلى مدينة إصطنبول التاريخية للقاء شيخنا العلَّامة المحدِّث الناقد، المحقِّق الجليل، الشيخ محمد عوامة حفظه الله تعالى، وأبقاه ذُخرًا ثمينًا للإسلام والمسلمين. فتواصلتُ مع نجله الفاضل الأستاذ الدكتور محيي الدين عوامة حفظه الله تعالى، وأبديتُ رغبتي في لقاء الشيخ والاستفادة من مجالسته، فوافَقَ متكرِّمًا مشكورًا. وكان ذلك قبل بضعة أيامٍ من عيد الأضحى المبارك سنة ١٤٤٧هـ، فحجزتُ تَذاكِر السفر ليومَي الخميس والجمعة، الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، اليومين الأخيرين من أيام العيد الثلاثة؛ إذ كانتْ عندنا عطلةٌ في معاهدنا ومدارسنا في لندن. فألقيتُ خطبة العيد في مسجد بيت الأمان بِلَندن، وقضيتُ يوم العيد مع العائلة والأقارِب، ثم توجهتُ إلى المطار ليلًا، ووصلتُ إلى مطار إصطنبول صباح يوم الخميس، بأمنٍ وسلامةٍ، والحمد لله.

كان من المقرَّر أن ألتقي بشيخنا العلَّامة بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب، فوصلتُ إلى مكتب الشيخ قُبَيل صلاة العصر، وجلستُ في حضرة نجله الفاضل، الأستاذ الدكتور محيي الدين عوامة حفظه الله تعالى، فكان لقاءً ماتعًا نافعًا، أفدتُ منه كثيرًا.

وحضر شيخنا العلَّامة إلى غرفة الضيوف بعد صلاة العصر، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام بابتسامته المعهودة، ثم سألني عن حالي وعن أحوال المسلمين في بريطانيا، فأخبرتُه أنني زرتُ قبل أيامٍ مكتبةَ شيخه العلَّامة عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى الخاصة، المحفوظة في مكتبة المركز الإسلامي بأكسفورد، وأنني تشرَّفتُ برؤية نسخةٍ من كتاب «تقريب

التهذيب» بتحقيق شيخنا العلَّامة محمد عوامة، كان قد أهداها بخطِّه الجميل إلى شيخه العلَّامة عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى.

وكان لَدَى العبدِ الضعيفِ بعضُ الأسئلة المتواضعة التي رغِبتُ في الاستفادة من جواب شيخنا عنها، فتفضَّل بالإجابة عنها كلها بهدوءٍ وتؤدةٍ، وبأسلوبه العَذْب الرصين الهادئ.

ولقد أُعجبتُ غايةَ الإعجاب بكرم الشيخ وسَعة صدره؛ إذ لم يكنْ في المجلس أحدٌ غيري، وأنا -بكلّ صراحةٍ، ومِن غير تواضعٍ مصطَنعٍ ولا مجاملةٍ- لا أرى نفسي أهلًا لأن يخصني شيخُنا بشيءٍ من وقته الثمين. غير أن هذا من جميل شمائل مشايخنا، ومن كريم أخلاقهم؛ فقد بقيتُ في حضرة الشيخ نحو ساعةٍ ونصف، ولم ألمح على وجهه الكريم أدنى أثرٍ للمَلل أو الضجر، مع ما كان يُعانيه من مشقة كِبَر السن، وما يعتريه من آثار التعب وضعف الصحة.

وسأحاول أن أشارك القُرَّاء الكِرام قَبساتٍ من ذلك المجلس العلمي النورانيّ الخاصّ؛ ليستنيروا بإجاباتِ شيخنا العلمية، ويستفيدوا من إرشاداته النفيسة التي يحتاج إليها كلُّ طالبِ علمٍ.

واستهلَّ شيخنا حفظه الله تعالى المجلس بنصيحةٍ غاليةٍ تتعلق باستعمال الألقاب في مُخاطبة العلماء والمشايخ، فقال: «هذه الألقاب التي استعملتَها في حقِّي، اجتَنِبْها. كنتُ أكتب الرسائل بيني وبين الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى، فكنتُ أكتب إليه من حلب، وكان هو في الرياض، فأذكر من الألقاب ما أعتقد أنه يليق بمقامه العلمي، ومع ذلك لم أكتبْ له قط كلمة (الإمام)، وإنما كنت أكتب: (المحقق) ونحوها. فكتب إليَّ رحمه الله: «إذا كتبتَ إليَّ فلا تُسرفْ في الألقاب، واكتبْ: الأستاذ المدرس». فإنّ كلمة (الأستاذ) في اللغة العربية معناها: الماهر بالشيء، وحتى لا يُظن أن المقصود الماهر في العلم، قال لي: أضِف كلمة (المدرس)».

وأدَعُ هذه الفِقْرة للإخوة القُرَّاء الكِرام ليتأمَّلوا ما فيها من أدبٍ جمٍّ، وليعتبروا بها؛ فإنها تدلُّ على تواضع العلماء، وكراهتهم المبالغة في الألقاب، مع عُلوّ كعبهم ورفعة منزِلتهم.

ثم شرع شيخنا حفظه الله تعالى في الإجابة عن الأسئلة.

أولًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: مَن العلماء الذين كان لهم أعظم الأثر في تكوينكم العلميّ والمنهجيّ والعمليّ؟ وكذلك ما الكتب التي كان لها أعظم الأثر في تكوين شخصيتكم العلميّة؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «شيخاي العُمدتان هما العلَّامة الشيخ عبد الله سراج الدين، والعلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة، رحمهما الله تعالى. وممن تأثرتُ به واستفدتُ منه، سوى هذين الشيخين: الشيخ محمد السلقيني، والشيخ محمد أبو الخير وغيرهما.

أمّا الكُتب، فأنا لا أزال أقرأ في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى، وفي كتب الرجال. وأما من الكتب غير التراثية، فقد تأثرتُ بكُتُب العلَّامة الكوثري تأثُّرًا كبيرًا؛ إذ بدأتُ بقراءتها منذ أوائل طلبي للعلم، وظلَّ أثرها فيَّ ظاهرًا».

فقلتُ لشيخنا: هل كان ذلك بسبب تَلْمَذَتِكم على الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وهو من أبرز تلامذة الكوثري؟ فقال شيخنا: «لا، بل بدأتُ بقراءة كُتُب الكوثري قبل التَّلْمَذَة على الشيخ عبد الفتاح بسنتين، أو سنةٍ ونصف. وقد استفدتُ من الإمام الكوثري خصلةً علميَّةً مُهمَّةً جدًّا، وهي تقويم الرجال؛ فكان رحمه الله كأنه قرأ كتاب كل عالِمٍ، ثم قوَّمه، فأعطاك صورةً واضحةً عنه، مبينًا نِقاط القوة ونِقاط الضعف فيه.

وكل المشايخ الذين أدركتُهم، بل حتى الطبقة التي قبلهم، كانوا متأثرين بكتاب «سبل السلام» للصنعاني، و«نيل الأوطار» للشوكاني، أما الكوثري فقد كشف ما فيهما من المؤاخذات، وبيَّن ذلك، ومن أمثلة ذلك ما كَتَبَه في آخر كتابه «الإشفاق على أحكام الطلاق»[1]. وهذا مجرد مثالٍ واحدٍ.

ومع ذلك، كان الكوثري يحترم الأئمة احترامًا كبيرًا، ولكنه عاش في ظرفٍ مضطربٍ؛ فقد كانت الأمور في تركيا مستقرةً من جهة الإسلام والعقيدة والتَّمَذْهُب، فنشأ على ذلك، فلما انتقل إلى مصر وجد الساحة مضطربةً؛ فظهرت مدرسة محمد عبده، وبرزت الدعوة الوهَّابية، وانتشرت اللَّامذهبية. فوقف الكوثري في وجه هذه التيَّارات، كما وقف الشيخ مصطفى صبري رحمه الله تعالى في وجه الفكر الغَربي ومدرسة محمد عبده، وكان هَمُّ الكوثري الدفاع عن الفقه والعقيدة، والوقوف في وجه الدعوات التي رآها سببًا في تمزيقهما».

ثانيًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: ذَكَر العلَّامة السخاوي في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر أنه سمعه يقول: «لستُ راضيًا عن شيءٍ من تصانيفي؛ لأني عملتُها في ابتداء الأمر، ثم لم يتهيَّأ لي مَن يحرِّرها معي، سوى: شرح البخاري، ومقدمته، والمشتبه، والتهذيب، ولسان الميزان». وكان يقول أيضًا: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ، لم أتقيَّد بالذهبي، ولجعلتُه كتابًا مبتكرًا. ورأيتُه في موضع آخر يُثني على شرح البخاري، والتغليق، والنخبة»[2]. ومحلُّ الشاهد أن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وُفِّق إلى تأليف ما يزيد على مئتين وثمانين مصنَّفًا، ثم انتهى به الأمر في آخر عمره إلى أن يرضى عن سبعةٍ منها فقط.

فقلتُ لشيخنا حفظه الله تعالى: مِن بين مؤلَّفاتكم وتحقيقاتكم العلمية الكثيرة، أيُّ الأعمال ترضون عنها أكثر، بعد تجربتكم الطويلة في التأليف والتحقيق؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «تدريب الراوي أولها، وإن كان آخرها عملًا، والكاشف، والمصنَّف لابن أبي شَيْبة».

وأقول: نعم، هي كذلك، غير أنني أودُّ أن أضِيف ثلاثةَ كُتُبٍ أخرى من مؤلَّفات شيخنا، كان لها أثرٌ بالغٌ في تصحيح المفاهيم وتقويم المسار العلمي عند آلافٍ مؤلَّفةٍ من طُلَّاب العلم، وهي: «أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء»، و«أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين»، و«مَعالم إرشادية لصناعة طالب العلم».

---

[1] ينظر: «الإشفاق على أحكام الطلاق»، ص ٣٠١ وما بعدها.

[2] «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي، ٦٥٩/٢.

والحقُّ أن شيخنا حفظه الله تعالى من العلماء المتقنين في التصنيف والتحقيق، فلا يكاد يُخرج عملًا حتى يبلغ فيه غاية التحرير والإحكام؛ ولذلك جاءتْ مؤلَّفاتُه وتحقيقاتُه نافعةً متميّزةً، يجتمع فيها التحقيقُ العلميّ وحسنُ العرض. ولعل اقتصار شيخنا على ذكر ثلاثةٍ من أعماله إنما هو مِن كمال تواضعه، وهضمه لنفسه، وإعراضه عن تزكيتها، جزاه الله تعالى خيرَ الجزاء، وأوفاه المثوبة.

ثالثًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: ما ترجيحكم في زمن لقاء الإمام الترمذي بشيخه الإمام البخاري؟ وهل يمكن اعتبار النقول التي يرويها الترمذيُّ عن البخاريّ من آخر اختيارات الإمام البخاري واجتهاداته؟ خاصة مع اختلاف الباحثين المعاصرين في تاريخ اللقاء؛ كالشيخ نور الدين عِتر رحمه الله تعالى، والدكتور أحمد الأقطش.

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «أثناء اشتغالي بخدمة «جامع الترمذي» لم أركِّز على هذه المسألة، ولكن الذي يبدو من خلال كثرة النقول والسؤالات التي أوْرَدَها الإمامُ الترمذي في «جامعه» أنَّ لقاءه بالإمام البخاري، وتَلْمَذَته عليه، كانا في وقتٍ مبكِّرٍ، والله أعلم».

رابعًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: ما أهم الأمور المنهجية والعلمية التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها عند دراسة «جامع الترمذي» والاستفادة منه؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «أنا دائمًا أقول وأؤكِّد لطلَّاب العلم: مِن الضروري في هذا الكتاب، وفي غيره من كُتُب أئمتنا، أن نحاول أن نفهم عنهم. ومُشكلتنا مع أئمتنا أننا لا نفهم مُرادهم ومَقاصدهم؛ لماذا قالوا هذا؟ ولماذا قدَّموا هذا وأخَّروا ذاك؟ مع أنّ كُتُبهم رحمهم الله كَسَبِيْكَةٍ ذهبيَّةٍ واحدةٍ.

انظروا إلى كتاب «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للكنوي، فإنه يقول في بعض المواضع: ذُكرتْ هذه المسألة قبل فصلِ كذا وبعد فصلِ كذا، ويستفيد من ذلك أن التقديم والتأخير والترتيب عندهم ليس أمرًا اعتباطيًّا، بل له دلالته وفائدته. فهذا أمرٌ ينبغي أن ننتبه إليه.

وكُلَّما عَلَا الإمامُ في الإمامة ازداد فهم كلامه صعوبةً؛ فانظروا كيف أعجز الإمامُ البخاريُّ العلماءَ من بعده في طريقة تدوينه، وذلك من دلائل نُبوغه وإمامته. وكذلك الشأن في سائر كُتُب الأئمة؛ فلا بد أن ننتبه إلى كل كلمةٍ، بل إلى كل حرفٍ في كتبهم.

والمعالم الأساسية عند الإمام الترمذي أربعةٌ: الرواية، والجرح والتعديل، وفقه السلف، ثم أمرٌ مهم، وهو أنه يقوّي الحديث بالعمل به، ويضعِّفه بعدم العمل به.

فمثلًا قد يقول: «هذا حديثٌ حسنٌ»، مع أن في إسناده راويًا ضعيفًا. فهل بلغ الإمام الترمذي من الغفلة أو الجهل حتى لا يفرّق بين الراوي الضعيف والراوي الحسن؟! نعوذ بالله. ولكن انظر إلى تتمَّة كلامه؛ فإنه يقول: «وفي الباب عن فلانٍ وفلانٍ»، ثم يقول: «وعليه العمل عند أهل العلم». فهذه العبارات إنما يَذكُرها تقويةً للمتن، فمِن الضروري أن ننتبه إلى مثل هذه الأمور.

وقبل أن ننتقد الإمام، ينبغي أن ننتقد أنفسنا؛ لأننا كثيرًا ما لا نفهم كلامه. وهذا مهمٌّ في جميع كتب أئمتنا، ولكنه في «جامع الترمذي» أهمُّ؛ لأنه من أكثر الكُتُب التي وُجِّه إليها النقد. حتى إن ابن تيمية -على إمامته رحمه الله- قال: الأحاديث التي يضعِّفها الإمام أحمد يحسِّنها الترمذي. ثم جاء بعده تلميذُه الذهبي، فقال: الترمذي متساهِلٌ». فقلتُ لشيخنا: إذن لعل الذهبي تأثَّر في هذا الحكم برأي شيخه ابن تيمية؟ فقال شيخنا: «نعم، نعم، قد يُتصور هذا في حديثٍ أو حديثين مثلًا، أما في مئات الأحاديث؟! ... وهكذا ينبغي أن نتهم أنفسنا بالتقصير في الفهم قبل أن نتهم المؤلِّفين والأئمة.

وابن تيمية أيضًا طَعَن في كتاب «الشفا» للقاضي عياض، ثم جاء تلميذُه الذهبي بعده فقال: فيه أحاديث واهية! وليس الأمر كذلك؛ ففيه أحاديث ضعيفة، لكن القاضي عياض إمامٌ في الحديث، وكان كثيرًا ما يُورد الحديث الجامع في الشمائل المحمدية، بعد أن يكون قد ذَكَرَ قبله أحاديثَ متفرقةً في الباب، فإذا ختمها بحديثٍ جامعٍ، وإن كان ضعيفًا، فإن الأحاديث التي ساقها قبله تشهد له وتقوِّيه. فلا بد أن ننتبه إلى دقائق صنيع أئمتنا، ولا نغفل عن مقاصدهم».

وحينئذ سألتُ شيخنا: الإمام الترمذي حينما يذكر عمل أهل العلم يصرّح مثلًا بالشافعي ومالك وأحمد وغيرهم، ويكتفي بقوله: وأهل الكوفة، لماذا لا يصرّح بأبي حنيفة؟ فأجاب شيخنا: «لأن المدرسة مختلفة: مدرسة أهل الحديث ومدرسة أهل الرأي. فاختلاف المذهب والمنهج يجب أن ننتبه له».

خامسًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: ما أفضلُ طريقةٍ لتدريس «مشكاة المصابيح» لطلبة العلم؟ وما الجوانب التي ينبغي التركيز عليها أثناء تدريسه؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «بما أن كتاب «مشكاة المصابيح» لم يكن ضمن المقرَّرات الدراسية في المعاهد والمدارس في بلادنا، فلم تكن لي عنايةٌ خاصة به. ولكني أرى أن شرح الطيبي مهمٌّ ومفيدٌ جدًّا لدارسي «المشكاة»؛ فإن الحافظ ابن حجر رحمه الله يعتمد كثيرًا على الطيبي في فهم معاني الحديث، فشرحُه -أعني شرح الطيبي- شرحٌ جيّدٌ، إن شاء الله تعالى».

ثم ذكرتُ لشيخنا حفظه الله تعالى أنه كان قد نصح طلَّاب العلم في لقائي الأول معه عام ٢٠١٩م بحفظ الأحاديث، وأنني نقلتُ تلك النصيحة في كتابي باللغة الإنجليزية: «المدخل إلى مشكاة المصابيح»[٣]. وكانتْ معي نسخةٌ من ذلك الكُتَيِّب، فعرضتُها على الشيخ، فسرَّ بها، والحمد لله.

سادسًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: هل هناك شروحٌ لكتب الحديث ترون أنها تستحق أن تُقرأ كاملةً من أوّلها إلى آخرها، لا على سبيل المراجعة الجزئية فقط؟ وما أبرزها؟

---

[٣] اسمه باللغة الإنجليزية: An Introduction to Mishkat al-Masabih، وطبعته دار التراث في لندن ٢٠٢٥، وصدرت الطبعة الثانية في شهر يونيو ٢٠٢٦.

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «أنصحُ بقراءة شرح المشكاة للطيبي؛ لما له من أهمية، وبناءً على اعتماد الحافظ ابن حجر عليه في مواضعَ كثيرةٍ.

وأنصح أيضًا بقراءة «فيض القدير» للمُناوي؛ فإنه من أجوَد الشروح في بيان معاني الأحاديث. أما من الناحية الحديثية، فعليه استدراكاتٌ كثيرةٌ، وأحيانًا تكون عباراتُه دقيقةً مختصرةً إلى حدٍّ يحتاج معه القارئ إلى التأنّي وحسن الضبط. كما ينبغي الانتباه إلى الأخطاء المطبعية في الكتاب. وهذا بالنسبة للشرح، أما المتن، وهو «الجامع الصغير» للسيوطي، ففيه أيضًا أخطاء مَطبعية، وإن كانت أخطاء المتن نفسه قليلةً بالنظر إلى كثرة أحاديثه، إلَّا أنَّ الأهمّ من ذلك الأخطاء الواقعة في الرموز.

فمِن ذلك مثلًا: (عم) و(حم)، وهل المقصود الإمام أحمد، أم ابنه عبد الله في زوائد المسند؟ وكذلك يقع الخلط بين (ص) و(ض). وأهمّ من ذلك كله الأخطاء الواقعة في رموز التصحيح والتضعيف؛ فإنّ للسيوطي ثلاثةَ رموزٍ، وهي: (صح)، و(ض)، و(ح)، وقد وقع فيها عددٌ غيرُ قليلٍ من الأخطاء المطبعية».

سابعًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: لدى العبد الضعيف اهتمامٌ خاصٌّ باستخراج الفوائد العلمية والتربوية من الأحاديث النبوية، خاصَّةً ما يتعلق بتربية الشباب وإصلاح الأمَّة[٤]. فما توجيهكم لطالب العلم في هذا الباب؟ وما الكتب أو الشروح التي تنصحون بالاعتناء بها لتنمية هذا الجانب؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «أولًا: ينبغي للشباب أن يقرؤوا كُتُب العلماء في باب الآداب عامَّةً، مثل: «الأدب المفرد» للإمام البخاري، و«كتاب الآداب» للإمام البيهقي. ومِن أنفَع الكُتُب لطلَّاب العلم خاصَّةً: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر. وأضيف إليهما كتابًا ثالثًا مهمًّا لطلاب العلم، وهو «آداب الفقيه والمتفقِّه» للخطيب البغدادي. وقد اشتهر الكتاب بعنوان: الفقيه والمتفقه، لكن الإمام النووي سماه: «آداب الفقيه والمتفقه»، فاقرأه أيضًا بدقّةٍ.

وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب ذكر الخطيبُ قصةً عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا جاءه فسأله: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا توبةَ له. ثم جاءه رجلٌ آخرُ فسأله السؤال نفسَه، فقال: له توبةٌ. فتعجَّب الحاضرون من اختلاف الجواب مع اتحاد السؤال، فقال ابن عباس: «أمّا الأوّل فرأيتُ في عينيه إرادةَ القتل فمنعتُه، وأما الثاني فجاء مُستكينًا وقد قَتَل، فلم أُؤيِّسْه»[٥].

فهذه القصة وحدها درسٌ كبيرٌ للعالم؛ فقد يتصل شخصٌ بالعالم هاتِفيًّا من بيته ويسأله عن مسائلَ يسيرةٍ، كأحكام الطهارة أو الصلاة، فيمكنه أن يجيبه. أمَّا إذا كان السؤال متعلقًا بالدُّيُون أو حقوق العباد أو ما يحتاج إلى معرفة

---

[٤] على سبيل المثال، تنظر هذه المقالات المتواضعة للعبد الفقير إليه تعالى: فوائد من حديث: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، وفوائد من حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن: دروس في الدعوة والتعليم والتربية، وفوائد من حديث: «ولم يكمل من النساء إلا...»، وفوائد من حديث: أتعجبين يا ابنة أخي؟. كلها منشورة في شبكة الألوكة: محفوظ أحمد السلهتي – شبكة الألوكة – الكتاب والمفكرون.

[٥] ينظر: «آداب الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي، ٢/٤٠٧.

حال السائل، فلا بد أن يحضر إليه؛ حتى يراه العالم، ويُلاحظ حاله، ثم يجيبه. فهذه القصة تُعلِّمُنا منهجًا في التعامل مع أسئلة السائلين، وأن الفتوى لا تُبنى على السؤال المجرد وحده، بل قد يُراعى فيها حال السائل أيضًا.

وكان أحد علماء بلادنا حاضرًا في مجلس العلَّامة الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى، فدخل رجلٌ وسأل: ما حقيقة الحقائق؟ فزجره الشيخ وطرده. فقال بعض الحاضرين: لماذا زجرتَه، وهو يسأل عن التصوف؟ فقال: لأنه ماسونيٌّ. فالتصوف إذا دخل إليه الإنسان من باب الكتاب والسنة فهو إيمان كامل، وإذا دخل إليه من باب الفلسفة فهو زَندَقَة.

قال ذلك العالم: وبعد نحو شهر نُشرتْ أسماء الماسونيين في بلادنا في إحدى الجرائد، فإذا بذلك الرجل في تلك القائمة! فكان هذا من عقل الشيخ وفِراسته. فإذا لم يطابق السؤالُ حالَ السائل، أو ظهرتْ للعالم قرائنُ تدعو إلى التوقُّف، فلا ينبغي أن يُبادِر إلى الجواب.

وسأل رجلٌ سيّدَنا ابن عمر رضي الله عنهما عن محرم بالحج قتل بعوضة، فقال: ممن أنتَ؟ قال: من العراق، فقال ابن عمر: «انظروا إلى رجل من أهل العراق، يسأل عن دم البَعُوض وقد قتلوا ريحانة رسولِ الله ﷺ»[٦]. فلا بد للعالم أن ينتبه إلى هذه المعاني عند الإجابة والإفتاء.

وثانيًا: أنصح بكتاب «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعلَّامة بدر الدين العيني رحمه الله تعالى؛ فإنه مفيدٌ جدًّا في استخراج فوائد الحديث، إذ يذكرها مرتَّبةً مرقَّمةً، بخلاف الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، فإنه يذكرها بقوله: ومنها... ومنها...».

ثامنًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: ما الأمور العملية والتطبيقية التي ترون أنها تُنمّي الملكة الحديثية الراسخة عند طالب العلم في هذا العصر، بعيدًا عن مجرد ختم المتون وجمع الأسانيد؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى متبسمًا: «سؤالٌ في سطرٍ ونصفٍ، ولكنْ يقتضي إجابةً طويلةً جدًّا». فقلتُ لشيخنا: نرى في هذه السنوات الأخيرة فيما بين طلبة العلم اهتمامًا بالغًا بجمع الأسانيد والإجازات، فعلَّق شيخنا عليه قائلًا: «أنا ضِدَّ هذه الظاهرة، فاحذَرْها. فبعضهم يجمع الإجازات ثم يتفاخر، ويقول: عندي مئةُ إجازةٍ ومئتا إجازةٍ! يتفاخر بذلك وهو جاهلٌ!

والذي ينبغي لطالب العلم أن يعتني به أربعة أمور:

الأول: مزاحمة الشيوخ بالأسئلة، وفهم العبارات، وحلّ الإشكالات والمعضِلات. ولو صار الإنسانُ شيخَ الشيوخِ، فقد تستعصي عليه عبارةٌ، فلا بد أن يُراجع شيوخَه.

وأنا دائمًا أحكي قصّتين عن شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى:

---

[٦] يُراجع: «فتح الباري» لابن حجر، ٣٩/٩، وأصل القصة مذكور في «جامع الترمذي»: ٣٧٧٠.

أمّا الأولى، فإنّ أوّل كتابٍ أخرجه بتحقيقه وتعليقه كان «الرفع والتكميل»، وقد أُعجِب به علماء الهند، ثم أخرج بعده «الأجوبة الفاضلة». وكنتُ أخدِم الشيخ بين بيته والمطبعة، أحمِل الأوراق المطبوعة للمراجعة والتصحيح.

وفي يومٍ من الأيام دخلتُ غرفة الضيوف في بيته، وكانت الغرفة دائمًا مرتَّبةً ومنظَّمةً، فإذا بالكَراسيّ كلها قد امتلأتْ بالكُتُب. فالتفتُّ إلى الشيخ مبتسمًا، فقال: مرَّتْ بي عبارةٌ نقلها اللكنويُّ من «فواتح الرحموت شرح مُسلَّم الثبوت»، وهي قوله: «إن الشافعي كان يعمل بالإحالة»، فما معنى الإحالة؟

ثم قال: اتصلتُ بعددٍ من مشايخي –وسمَّاهم لي– فما وجدتُ عندهم جوابًا. فانظر إلى أدب شيخنا؛ فلم يقل: «ما عرفوا المعنى»، وإنما قال: «ما وجدتُ عندهم جوابًا».

ثم قال: مضتْ ثلاثة أشهر وأنا أراجع الكُتُب والمعاجم والمصادر، حتى تبيَّن لي أن الكلمة: الإخالة بالخاء المعجمة، وهي معرفة العلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه بالظن لا باليقين، فالمراد أن الإمام الشافعي يعمل بالظّنّ[٧].

فالشيخ عبد الفتاح رحمه الله كان يومئذ محققًا كبيرًا، وقد أُعجِب علماء الهند بعمله، ومع ذلك كان يُراجع شيوخَه.

وأما القصة الثانية، فهي أن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، أثناء عمله على كتاب «قواعدُ في علوم الحديث» للشيخ ظفر أحمد العثماني، مرَّ به اسم كتاب «إعلام الموقعين» لابن قيّمِ الجوزيّة، وكان الشيخ ظفر قد ذكر –نقلًا عن العلَّامة الكشميري– أن اسمه: أعلام الموفقين[٨]. فكَتَبَ الشيخ عبد الفتاح، وهو يومئذ في الرياض، إلى شيخه الشيخ مصطفى الزَّرقاء في عَمَّان، يسأله عن الضبط الصحيح لاسم الكتاب، فأجابه الشيخ مصطفى بجواز الوجهين، وقد أثبت الشيخ عبد الفتاح جوابه في تعليقه على الكتاب[٩].

فالمهم أن يبقى طالب العلم دائمًا في ظلِّ شيوخه. وكتابي «معالم إرشادية لصناعة طالب العلم» مهمٌّ جدًّا في هذا الباب، إن شاء الله، فمَن قرأه استفاد منه كثيرًا؛ فقد قصدتُ فيه أن أُدرِّج طالب العلم من أوّل مراحل الطلب حتى يصير محققًا.

الثاني: التثبت في العزو؛ فلا نقنع، ولا نكتفي، ولا نرضى بمجرد قول أي قائل. نعم، مكانة العلماء على الرأس والعين، ولكن لا بد لطالب العلم أن يتثبَّتَ من كلام كل عالم، فيرجع إلى المصدر الأصلي.

فالحافظ ابن حجر أمضى خمسًا وعشرين سنةً في تأليف «فتح الباري». وكنتُ أقول لطلَّابي في حلب، في الدرس: لو قلتُ إن ابن حجر يحفظ «صحيح البخاري» أكثرَ من الإمام البخاري نفسه، لما كان ذلك مبالغةً. ومع هذا، إذا قال ابن حجر: «هذا الحديث في صحيح البخاري»، أقول: قَدَمُك على رأسي، لكن لا بد أن أراجعه بنفسي، فأتحقَّق: هل الحديث في «الصحيح» كما قال؟

---

[٧] للاطلاع على مزيد من التفاصيل، ينظر: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، ص ٧٦–٧٧.

[٨] ينظر: «الفوائد المنتقاة من أمالي إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري» للعبد الضعيف، ص ٢٠١–٢٠٢، الطبعة الثانية.

[٩] يُنظر: «قواعد في علوم الحديث»، ص ٩٧–٩٩.

الثالث: التثبت في صحة النقل. فلو قال ابن حجر: قال ابن الملقِّن، فلا يكفي أن أراجع الصفحة التي نقل عنها، بل لا بد أن أنظر: هل نقل كلامه كاملًا، أم تصرَّفَ فيه؟ فإنَّ علماءنا كثيرًا ما يتصرَّفون في النقل، فينبغي النظر: هل كان هذا التصرف مخلًّا بالمعنى، أم أنه أدَّى الغرض؟

فمَنْ جمع بين هاتين الخصلتين: التثبت في العزو، والتثبت في صحة النقل، صار محققًا.

الرابع: الجمع بين النقد والأدب. فإذا تبيَّن لطالب العلم -بعد المقارنة والتحقُّق- أنّ ابن حجر أخطأ في عزوٍ ما، فهل يسخر منه أو ينتقص من قَدره؟ معاذ الله. إننا نُربي في طالب العلم مَلَكَتين متلازمتين: ملكة النقد، وملكة الأدب؛ النقد مع الأدب، والأدب مع النقد. ولا بد أن يتوازَنَا في شخصية طالبِ العلم، فلا يطغى أحدهُما على الآخر. فالملكة النقدية ضرورية جدًّا، ولكن لا بد أن تكون مقرونةً بالأدب وحسن الخلق»[١٠].

تاسعًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: كثيرًا ما تركِّزون لطلاب العلم على أهمية التخصُّص الدقيق، فهل ترون أنه من المناسب أن يتخصَّص الطالب في مرحلة متأخرة من طلب العلم والبحث تخصصًا دقيقًا في عالم من علماء المسلمين القُدَامَى؟ وإذا كان الجواب مثبتًا فمَنْ هؤلاء العلماء الذين ينبغي للطالب أن يتخصَّص فيهم؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «نعم، إذا كان ذلك العالم يستحق أن يُتخصص فيه. وقد قال لي أحد مشايخي قبل نحو خمسين سنةً، حينما كنت في حلب: إنّ أحد المستشرقين تخصَّص في ابن تيمية عشرين سنةً! ونحن المسلمين ماذا نصنع؟ كان ابن حجر الهيتمي الفقيه الشافعي يظن أن ابن تيمية رجل أضله الله على علم[١١]، بينما كان مشايخنا، كالشيخ عبد الفتاح أبو غدة، يقرؤون لابن تيمية، ويعدُّونه عالما من علماء الأمة، يصيب ويخطئ كسائر العلماء.

ثم إن هذا المستشرق الكافر، هل كان تخصُّصه في ابن تيمية حبًّا للدين أو للعلم أو للإسلام؟ كلَّا، وإنما كان يبحث عن أمور يطعن بها في دين الله.

فلذلك أقول: نعم، يمكن لطالب العلم أن يتخصَّص في عالم يستحق ذلك، فمثلًا يمكن لطالب العلم الحنفي أن يتخصَّص في الإمام الطحاوي، أو القدوري، أو المرغيناني، أو ابن الهُمَام.

ولكن لا بد أن يقوم هذا التخصص على ثلاثة أصول: مراجعة النقول، والتثبُّت من مطابقتها للأصول، والجمع بين الأدب والنقد؛ النقد مع الأدب، والأدب مع النقد.

ومن الأدب مع العلماء أنني قلتُ يومًا لشيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى: إن الإمام الكوثري ألَّف في تركيا كتابًا في التعقُّب على ابن تيمية، فلمَّا انتقل إلى مصر، ورسختْ قدمه في العلم أكثر، واتسعتْ تجربته، كان من الممكن أن ينشر ذلك الكتاب، فلماذا لم يفعل؟

---

[١٠] وللاطلاع على مزيد من التفاصيل لشيخنا حفظه الله في هذا الصدد يرجع إلى مقالي الموسوم: «ثلاثة أيام في رحاب العلم: مع شيخنا العلَّامة محمد عوامة»، ص ٦-٧.

[١١] ينظر: «الفتاوى الحديثية» لابن حجر الهيتمي، ص ٨٣.

فقال لي الشيخ عبد الفتاح: لأن الكوثري لم يُرِد أن يجعل ذلك الكتاب لُقمةً سائغةً للمستشرقين يطعنون بها في إمامٍ من أئمة المسلمين.

ومع أن الكوثري كان كثير الكلام في ابن تيمية، فهذا كان موقفه. فانظروا إلى مَتَانة عقله، وغيرته على الإسلام».

ثم قال شيخنا حفظه الله: «ومن هنا أقول: إن المسلمين بحاجة إلى عالم يجتمع فيه أربعِ صفاتٍ: أن يكون عالمًا، وعاملًا بعلمه، وعاقلًا، وحكيمًا.

ومن هو الحكيم؟ هو الذي يضع الشيء في موضعه. ولذلك كان العوام في بلادنا يسمون الطبيب: الحكيم؛ لأنه يضع الدواء حيث الداء. فكذلك العالم لا بد أن يكون حكيمًا». فقلتُ لشيخنا: وهكذا أيضًا في ديارنا يسمون الطبيب حكيمًا. فقال مبتسمًا: «نعم، أعرف ذلك، مثل: الحكيم أختر».

عاشرًا: سألتُ شيخنا حفظه الله تعالى: استمعتُ إلى بعض محاضراتكم في لبنان قبل عامٍ ونصفٍ، وقد ذكرتم في مناسبة حديثكم عن دراسات المستشرقين: «يُرمى بها في سَلَّة المهملات»، فماذا نصيحتكم لمن يعيش مثلًا في مكان يوجد حوله مستشرقون وهو بحاجة إلى الدفاع عن دينه أمامهم أو أمام شباب المسلمين الذين قد يتأثرون بأفكار المستشرقين بسبب ارتباطهم بالجامعات وما إلى ذلك؟

فأجاب شيخنا حفظه الله تعالى: «يقول الشاعر:

ألقاه في اليَمِّ مكتوفًا وقال له

إياك إياك أن تبتلَّ بالماء!

فنحن ألقينا أبناءنا في يمِّ الشبهات، ثم إذا تأثروا بها كانت الجناية منَّا.

وأضرب لك مثالًا يوضِّح ذلك: الطبيب الجرَّاح، إذا أراد دخول غرفة العمليّات، فإن أول ما يفعله أن يُعَقِّم نفسه، ويتخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تنتقل إليه جَراثيم المريض. وكذلك شبابنا، قبل أن يدخلوا تلك الجامعات، يجب علينا أن نحصِّنهم بحِصن الإسلام.

وهنا انتبهوا لأمر واحد أحكيه بمثالٍ: إن تكلمتُ على ابني محيي الدين مثلًا –وأنتم تعرفون أن العلاقة بيني وبين ابني علاقة جيدة طيبة– فتحمِله على أمرٍ بسيطٍ، وأما لو كان بيني وبينه مؤاخذات ورُدود فتحمِله على العِتاب والطعن، فما الذي يفرِّق؟ هو العلاقة القلبية.

وكذلك اليهودي أو النصراني؛ فعلاقته بالقرآن، وبالنبي ﷺ، وبالإسلام، علاقة عِداء وعِناد، ولذلك فإنه يقرأ نصوص الإسلام بعين تلك العقيدة التي يحملها في قلبه، فيفسّرها على مقتضى ما استقر فيه من العِداء.

فينبغي أن ننبّه شبابنا إلى هذه الحقيقة، وأن نغرسها في أذهانهم؛ فليس كل ما يُسمى بحثًا علميًّا، أو تحقيقًا، أو نقدًا، يكون مجردًا عن الخلفيات الفكرية والعَقَدية. فكثيرٌ من هؤلاء ينطلقون من مواقفَ مسْبَقَةٍ تؤثر في قراءتهم للإسلام وتفسيرهم لنصوصه.

وكذلك ينبغي أن يوجد في المجتمع المسلم متخصِّصون في الرد على شبهات هؤلاء، وأن يتلقَّى الشباب العلم على أيديهم قبل دخول الجامعات؛ حتى يتحصَّنوا، ويعرفوا كيف يتعاملون مع تلك الشبهات».

وفي خِتام هذا المجلس العلمي المبارك، تشرفتُ بتقديم نسخةٍ من كتاب «منهج العلماء الكبار في تدريس صحيح البخاري»، المسمَّى «درس البخاري لسلفنا الأكابر»، للشيخ المفتي محمد فضل الحق الأميني رحمه الله تعالى، وهو كتابٌ سعدتُ بخدمته وإعادة نشره.

وقلتُ لشيخنا: لا يخفى على فضيلتكم أنّ مشايخ ديارنا يركِّزون كثيرًا على فقه الحديث في دروسهم. فقال الشيخ مبتسمًا: «يحنِّفون السنة!». ثم قبل شيخنا هذه الهدية المتواضعة، وقال: «ما شاء الله»، ودعا للمؤلِّف بقوله: «رحمه الله، وجزاه الخير».

وفي أثناء الحديث ذكرتُ كتاب «حجة الله البالغة» للشاه ولي الله الدهلوي، فذكر شيخنا طُرفةً لطيفةً، فقال: «بعض علمائنا رأوا أن اسم كتاب الإمام الرافعي: العزيز شرح الوجيز، فقالوا: لا يقال: العزيز، وإنما يقال: فتح العزيز؛ لأن العزيز هو الله سبحانه. وأنا عندي ملاحظةٌ على اسم كتاب مولانا الشاه ولي الله الدهلوي أيضًا؛ فقل: فلله الحجة البالغة». ثم ابتسم، وقال: «فالحجة البالغة لله، لا للدهلوي!».

وفي مناسبةٍ أخرى قال شيخنا: «الإمام الطحاوي لم يدَّعِ تأسيسَ مذهبٍ جديدٍ، بل كان ينصر المذهب الحنفي في جميع كُتُبه. وقد بلغ من العلم منزلةً عظيمةً لا نستطيع تصوُّرها.

وقد ذكر القاضي عياض، وهو مالكي، والإمام النووي، وهو شافعي، أن للطحاوي كتابًا في حُكم القِران، أي: هل كانت حجة النبي ﷺ حجة قِران؟ وذكر القاضي عياض أن الطحاوي ألَّفه في أكثر من ألف ورقة.

ومع ذلك كله، لم يدَّعِ الطحاوي الاجتهاد المطلق. فمن الجهل، بل من العبث، أن تُعقد دورات لتكوين المجتهد في عامين! هذا لعبٌ في دين الله.

وقد تكرَّم شيخنا حفظه الله تعالى -بناءً على التماسٍ مني- بكتابة نصيحة بخطه الكريم في طُرَّة نسختي من كتاب «تدريب الراوي»، المطبوعة بتحقيقه في خمسة مجلَّدات، فكَتَبَ: «إلى الأخ الكريم الفاضل الأستاذ الشيخ محفوظ أحمد السلهتي، وفَّقنا الله وإيَّاه لما يحبُّه ويَرضاه، **مع الاعتناء بهدي أئمتنا وسلفنا الصالح علمًا وعملًا**».

صلاة الجمعة في صحبة الشيخ:

وفي اليوم التالي، يوم الجمعة المبارك، وفَّقني الله تعالى لأن أكونَ في صحبة شيخنا حفظه الله تعالى في مسجد الحي الذي يسكنه. فتذكرتُ قول الفقهاء عند ذِكر أولى المساجد بالصلاة: «ومسجد أستاذه»[١٢]؛ فإن طالب العلم إذا صلى في مسجد أستاذه أمكنه أن يتعلم من أحواله قبل أقواله، ومن سَمته وهديه قبل عباراته. وقد أدركتُ بالفعل من تلك الصحبة في صلاة الجمعة فوائدَ لا تُدرَك بالقراءة وحدها. وهل من الضروري أن يكتب الإنسانُ كل ما يرى؟ أو هل يستطيع أصلًا أن يعبِّر عن كل ما يُشاهده ويُدركه ويَتعلمه؟

ولما عُدنا إلى مكتب شيخنا بعد صلاة الجمعة، أكرمني بهديةٍ طيبة؛ إذ أتحفني بعطرٍ فوَّاح، ثم زادني كرمًا بأن أهدى عطرًا آخر لسيدي الوالد مولانا الشيخ أولياء حسين حفظه الله تعالى.

---

[١٢] يُنظر: «معالم إرشادية لصناعة طالب العلم»، ص ١٦٧، و«أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين»، ص ١٦٨-١٦٩.

كما أسعدني نجل شيخنا، فضيلة الأستاذ الدكتور محيي الدين عوامة حفظه الله تعالى، بمجالسته طِوال اليومين، وما أفاض به من حواراتٍ علمية ومنهجية وتربوية، وتشرفتُ كذلك بتناول الغداء معه يوم الجمعة.

ولا بأس أن أذكر بعض ما أفدتُه من تلك المجالس؛ فإن الولد سرُّ أبيه، والأستاذ الدكتور محيي الدين -فيما نحسب- خيرُ خلفٍ لخيرِ سلفٍ، وهو يقوم بخدمة والده شيخنا العلَّامة خدمةً ينبغي لكل ولد بارٍّ أن يقتدي بها. ففي السنوات الأخيرة أشرف على طباعة أعمال علمية مهمة في دار الحديث العوامية، كما أقام الندوات والمؤتمرات والدورات العلمية التي تُعرِّف بعلوم شيخنا وأفكاره ومنهجه، وتنشرها في أرجاء المعمورة، ولله الحمد، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وبارك في جهوده.

وقد عرضتُ على فضيلته خطة مقالٍ كنتُ أعمل عليه بعنوان: «نظرات في جامع الترمذي: ملامح تربوية ومنهجية في تكوين طالب العلم»[١٣]، فاستحسنها، وأبدى لي ملاحظاتٍ وتوجيهاتٍ نافعةً، فجزاه الله تعالى خيرًا.

ومن الفوائد التي أفادني بها -إجابةً عن أحد أسئلتي- أن العمل العلمي على «جامع الترمذي»، تحت إشراف شيخنا العلَّامة حفظه الله تعالى، قد اكتمل، وسيصدر قريبًا إن شاء الله تعالى.

ثم جرى الحديث إلى منهج شيخنا في تحقيق «جامع الترمذي»، فقال: «إن الوالد -شيخنا العلَّامة- يرى أن الإمام الترمذي إمامٌ فوق الأئمة، وأن منهجه بالغُ الدِّقَّة والصعوبة. والرواة الضعفاء -كما هو معلوم- ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: خفيف الضعف، ومتوسطه، وشديده، وقد جمعنا عدد الرواة شديد الضعف فقط فبلغ معنا العدد مئة وخمسة وتسعين راويًا، وأما خفيفو الضعف ومتوسطه فزاد على أربع مئةٍ وخمسين راويًا.

فهل يُعقل أن يكون الإمام الترمذي، وهو أحد أئمة الإسلام، وكتابه أحد دَوَاوين السنة المعتَمَدة، قد روى عن هذا العدد الكبير من المتروكين والضعفاء من غير منهج؟ كيف سينظر أعداء السنة إلى ذلك؟ وكيف قد يستغلون هذه الأرقام للطعن في السنة؟

لذلك قام الوالد بدراسةٍ علميّةٍ دقيقةٍ، كَشَفَ فيها عن منهج الإمام الترمذي في الرواية عن هؤلاء الرُّواة، وبيَّن الضوابط التي اعتمدها في التخريج عنهم. فالوالد، بخدمته لـ «جامع الترمذي» وغيره من كتب السنة وعلوم الحديث، إنما يدافع عن السنة، ويذب عنها.

وإن شاء الله تعالى ستشتمل الطبعة الجديدة على أحاديثَ زائدة، ورواياتٍ زائدةٍ، وأسانيدَ زائدةٍ، وأقوالٍ زائدةٍ للإمام الترمذي، وكذلك نقولٍ زائدةٍ عن الإمام البخاري، بل وقفنا على رواة عن الترمذي أخذوا عنه السنن لم يكونوا معروفين بذلك».

---

[١٣] وبفضل الله تعالى ومنّه، قد كتبت المقال وشاركتُ به في مؤتمر علماء الحضارة الإسلامية، الذي انعقد في مركز الإمام البخاري بمدينة سمرقند يومي الأربعاء والخميس ٢-٣ المحرم ١٤٤٨هـ، الموافق ١٧-١٨ يونيو ٢٠٢٦م. وقد كتبتُ هذا المقال بناءً على تجربتي في تدريس «جامع الترمذي» بمدرسة قوة الإسلام في لندن لعدة سنوات، ولديَّ بعض النقول والمعلومات والنقاط التي سأضيفها إليه، كما سأعمل على توسيعه قريبًا، بإذن الله تعالى.

وبالمناسبة، ذكر الأستاذ الدكتور محيي الدين أن أحد الباحثين في لبنان يُعِدُّ رسالة دكتوراه بعنوان: «الرُّواة الذين أَنْصَفَهم الشيخ محمد عوامة»، فسررتُ كثيرًا بهذه المعلومة.

كما أتحفني فضيلته بكتابه الجديد: «الحواشي المدنية على شرح المنظومة البيقونية»، وهو ثاني كتب سلسلةٍ تعليمية وُضعت لتدريس علوم الحديث[١٤]، وقد صدر في إخراجٍ علمي أنيق.

وهكذا كانت هذه الرحلة العلمية مليئةً بالدروس والعبر، حافلةً بالفوائد العلمية والمنهجية والتربوية، زادت العبدَ الضعيفَ يقينًا بأن بركة العلم إنما تُنال بصحبة أهله، ومجالسة الراسخين فيه، والاقتداء بهديهم في العلم والعمل والأدب. وما كان فيها من خير ونفع فمن فضل الله تعالى وحده، وله الحمد أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا. وجزى الله تعالى شيخنا الكريم ونجله الفاضل خير الجزاء على ما أوليانِي من حسن الاستقبال، وكريم الضيافة، وعظيم الشفقة، وسعة الصدر، وما أفاضا به من العلم والنصح والتوجيه، وبارك في حياتهما وأعمالهما وجهودهما، وأدام نفع المسلمين بهما، وجعل ذلك كله في موازين حسناتهما. وأسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاقتداء بأهل العلم والفضل، وأن ينفعنا بما تَعَلَّمنا، ويزيدنا علمًا وعملًا وإخلاصًا، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. اللهم آمين.

---

[١٤] وللاطلاع على سائر كتب السلسلة لمستويات مختلفة، ينظر: مقدمة المؤلف لـ «الحواشي المدنية»، ص ٣٨-٣٩، كما ينظر: «نفحات من صحبة شيخنا العلَّامة محمد عوامة»، ص ٨٣.